بسم الله الرحمن الرحيم

Tarandi
A-Yücel

التحبير في علم التفسير

للسيوطي

المتوفى سنة ٩١١ هـ.

حققه وقدم له ووضع فهارسه
الدكتور فتحي عبد القادر فريد
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر

Vakfı

دار العلوم
للطباعة والنشر
١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة
لدار العلوم للطباعة والنشر

ص. ب. ١٠٥٠ ــ هاتف ٤٧٧٧ ١٢١
الرياض ــ المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد الذي أيَّده الله بالقرآن ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد.

وبعد؛

فأشكرُ اللَّه على أن أعانني على تقديم هذا الكتاب محقَّقاً لأوَّل مرَّة إلى مكتبة الدراسات القرآنية بصفة عامة وإلى مكتبة عالِمِ الإسلام والعربية بصفة خاصة: جلال الدين السيوطي ــ راجياً أن ينتفع به المسلمون في المشارق والمغارب، ومُلْتمِساً به عفوَ ربِّي ورضاه وتوفيقي ما حَييت لخدمة دينه وقرآنه ﴿وما توفيقي إلَّا باللَّه عليْه توكَّلت وإليه أنيب﴾.

السيوطي:
(اسمه ــ شيوخه ودراساته ــ مؤلفاته)

اسمه:

تحدّث المؤلف عن نفسه في كل من كتابيه: حسن المحاضرة، والتحدث بنعمة الله، واسمُه كما ورد في الكتابين: عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيريّ الأسيوطيّ[1].

وعن السيوطي أو الأسيوطي يقول: كان الوالد يكتب في نسبه «السيوطي» وغيره يكتب «الأسيوطي» وينكر كتابة الوالد، ولا إنكار، بل كلا الأمرين صحيح، والذي تحرَّر لي بعد مراجعة كتب اللغة ومعاجم البلدان ومجاميع الحفَّاظ والأدباء وغيرهم أن في سيوط خمسَ لغات: أَسْيوط بضمّ الهمزة وفتحها، وسِيوط بتثليث السين[2].

وكانت ولادته بعد المغرب ليلة الأحد مستهلّ رجب سنة **٨٤٩ هـ**[3].

شيوخه ودراساته:

تلقى السيوطي العلم على عدد كبير من الشيوخ في زمانه، وقد أفرد أحدَ مؤلَّفاتِه[4] للحديث عن هؤلاء الشيوخ الذين بلغ عددهم على حد

(١) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ١: ٣٣٥. تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، ط أولى، الحلبي ١٣٨٧ هـ= ١٩٦٧ م.

(٢) التحدُّث بنعمة الله للسيوطي. تحقيق: اليزابيث ماري سارتين ــ المطبعة العربية الحديثة بمصر ص ١٢.

(٣) المرجع السابق: ٣٢.

(٤) تحدَّث عنه في حسن المحاضرة وهو: مُعْجَم شيوخي الكبير ويسمى: حاطب ليل وجارف سيل، ١: ٣٤٤.

قوله نحو ستمائة، وكان السيوطي من بيت علم إذ كان والده يختم القرآن في كل أسبوع مرة، وخُتِم له بالشهادة، وكذلك كان غالِبُ إخوته وأولاده[1].

وقد حفظ السّيوطي القرآن وهو دون الثمانية، وحفظ عدداً من أمهات الكتب في علوم الدين والعربية ومن شيوخه: الشيخ «شهاب الدين الشارِمْساحي» الذي أخذ عنه «الفرائض»، وعلَم الدّين البُلقيني الذي أخذ عنه الفقه واستعان بكتاب أخيه «جلال الدين» «مواقع العلوم من مواقع النجوم» إلى مدى بعيد في تأليف كتابه هذا «التحبير».

كما أخذ الحديث والعربية عن «تقيّ الدّين الشبلي»، وأخذ التفسير والأصول والمعاني عن الشيخ: محيي الدين الكافيجي[2] الذي لازمه أربعَ عشرة سنة، وقرأ دروساً عديدة في الكشاف والتوضيح وتلخيص المفتاح على «سيف الدين الحنفي»[3].

كتبه:

تحدّث السيوطي في «حسن المحاضرة» عن فنون المعرفة التي ألف فيها وهي: التفسير وتعلقاته، والقراءات ــ والحديث وتعلقاته ــ والدعوات والأذكار ــ والفقه وتعلقاته ــ وفن الأصول والتصوّف ــ وفن العربية وتعلقاته ــ وفن التاريخ والأدب. وقد ذكر السّيوطي أسماء الكتب التي ألّفها في هذه الفنون وأنها بلغت ثلاثمائة كتاب سوى ما غسله ورجع عنه[4].

(١) المرجع السابق، ص ١٠ وما بعدها.

(٢) عُرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو. وقد توفي سنة ٨٧٩ هـ. بغية الوُعاة ١: ١١٧.

(٣) اقرأ: حسن المحاضرة ١: ٣٣٦ وما بعدها.

(٤) المرجع السابق ١: ٣٣٩ وما بعدها ــ وقد رُزِق السّيوطي التَّبحُّر في علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، وأصول الفقه، والجَدَل، والتصريف، والإنشاء، والترسُّل، والفرائض، والقراءات. حسن المحاضرة ١: ٣٣٨.

وتشكّك كثير من الدارسين قديماً وحديثاً في مقدرة السيوطي على تأليف هذا العدد الكبير من الكتب.

ورأى بعضهم أن في ذلك مبالغةً وإسرَافاً، كما ادَّعى البعض أن كثيراً من هذه المؤلفات قد كان لعدد من الشيوخ ادَّعاها السّيوطي لنفسه، أو أنه قد استولى على بعض المكتبات ونسبها لنفسه[1].

ودافع بعض الباحثين والدارسين عن السيوطي ورأوا أنه ليس غريباً أن يكون للسيوطي هذا العدد من الكتب! فقد نسب المؤرخون والمترجمون لبعض العلماء والأدباء مثل هذا العدد أو قريباً منه، وأن كثيراً من كتب السّيوطي التي تحدَّث عنها كانت صغيرة الحجم على هيئة مقالات، ويؤكد ذلك كتابه «الحاوي للفتاوي» في الفقه، وعلوم التفسير، والحديث، والأصول، والنحو، وسائر الفنون ــ وتضم الفتاوي التي أوردها السيوطي في هذا الكتاب عدداً كبيراً من الكتب التي ذكرها في كتابه: «حسن المحاضرة» فلا يبعُد إذاً صحَّة ما نُسب إليه من الكتب[2].

وأضيفُ إلى ما سبق أني عثرت في قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية على كتيِّب صغير الحجم يشتمل على عدة موضوعاتٍ في علوم مختلفة كل موضوع منها في حدود أربع صفحاتٍ أو يزيد قليلاً[3]، فنقلت أحد هذه الموضوعات وعنوانه: «فتح الجليل للعبد الذليل»[4] ويتحدّث فيه السيوطي عن الفنون البديعية في قول الله تعالى: ﴿اللَّـهُ

(١) اقرأ مقدمة: معترك الأقران في إعجاز القرآن. تحقيق: علي البجاوي ص ط وما بعدها، ومقدمة الإتقان تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط أولى ١/٥ وما بعدها.

(٢) انظر ص ي من معترك الأقران، ج ١.

(٣) تحت عنوان: مجموعات للسّيوطي.

(٤) أضفتها إلى كتابي «البديع» دار الطباعة المحمدية، ط أولى، ١٩٧٨م.

وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ من الظُّلُمٰتِ إلى النُّورِ وَالَّذِينَ كفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إلىَ الظُّلُمٰتِ أُولَئِكَ أَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيها خَالِدُون﴾[1]، وقد وَجَدت من بين الكتب التي ذكرها السيوطي في «حسن المحاضرة» الموضوع السابق[2]، فإذا كان السّيوطي يطلق على عدد محدودٍ مِن الصَّفَحَاتِ كتاباً فليس غريباً أن يكون ما ذكره من كتُبٍ لَهُ بل أكثرُ منها.

وقد اعترف السّيوطيُّ نفسُه بأن عدداً قليلاً من هذا الكم الكبير هو الذي يصِحُّ تسميته بالكُتب وهي الكتب التي جاءت فريدة في موضوعاتها وكبيرة في أحجامها، وأن عدداً كبيراً منها ليس أهلاً لذلك مما جاءَ في كرَّاس أو فوقه أو دونه، ومِمَّا كان عملُه فيها لا يزيد عن النقل والرّواية، ومما بدأه ولم يُكمِله، ومِمَّا عزم على المضيّ فيه ثم حيل بينه وبين ذلك.

أجل! إن كثيراً مِمَّن تشكَّكُوا في كثرة مؤلفات السّيوطي هم الذين وقفوا على مؤلَّفاتِه في كتابه: «حسن المحاضرة» فحسِبُوا كلَّ هذه العناوين مؤلَّفاتٍ مثل: الإتقان، والمُزهِر، وحسن المحاضرة وغيرها من مؤلَّفات السّيوطي المطبوعة فأقبلوا شاكين ومنكرين.

لكنَّ من يقرأ السّيوطيّ في كتابه: «التحدُّث بنعمة الله» لا يخالجه أدنى شكٍّ فيما ذكره ونسبه لنفسه من الكتب، إذ صنَّف السّيوطيُّ مؤلَّفاتِه ولم يُطلِق القول عليها كما في «حُسْن المُحَاضَرة».

لقد قسَّم السيوطي في كتابه «التحدُّث بنعمة الله» كُتُبَه سبعة أقسام[3]:

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) فتح الجليل للعبد الذليل.

(٣) التحدُّث بنعمة الله للسيوطي ص ١٠٥ وما بعدها.

١ ــ قِسْم ادَّعى فيه التفرُّد، وأنه لا نظير له، وعدد كتبه ثمانية عشر مؤلَّفاً منها: الإتقان في علوم القرآن ــ وبغية الوعاة، وغير ذلك.

٢ ــ وقِسْم ألِّفَ ما يُناظِره، وهو ما تَمَّ أَوْ كُتِبَ منْه قطعة صالحة من الكتب المعتبَرة التي تبلغ مجلَّداً وفوقه ودونه، وعدد مصنّفات هذا القِسْم خَمْسُون مُصَنَّفاً مِنْها: تكملة تفسير الشيخ جلال الدين المحلّي من أوّل البقرة إلى آخر الإسراء، وطبقات الحفّاظ، وطبقات المفسّرين وعقود الجُمان، وحسن المحاضرة، وغيرها.

٣ ــ وقِسْم صغير الحجم من كرَّاسين إلى عشرة، وكُتُبُه تامّة، وعددها: سبعون منها: التحبير في عُلُوم التَّفْسير[1]، مُعْتركَ الأقْران في مشترك القرآن[2]، وغير ذلك.

٤ ــ وقِسْم وقع في كُرَّاس ونحوه، وعدده مائةُ مُؤَلَّفٍ منها: مراصدُ المطالِع في تناسُبِ المقاطِع والمطالِع، والجمع والتفريق بين الأنواع البديعية، وغير ذلك.

٥ ــ وقِسْم ألِّف في واقعاتِ الفتاوَي من كُرَّاسٍ وفوقه ودونه وعدده ثمانُون مؤلَّفاً منْها: القوْلُ الفصيح في تعيين الذبيح، والمصابيح في صلاة التراويح، وغير ذلك.

٦ ــ وقِسْم لا يَعْتَدُّ السُّيُوطيُّ به، لأن اعتناءَه فيه كان بالرّواية المحضة وقد ألَّف معظم كتب هذا القسم في زمَن السمَّاع والدراسة ومن كتبه:

(١) وهو هذا الكتاب الذي يراه الدَّارسون للمرَّة الأولى.

(٢) هذا اسم الكتاب كما ورد في: «حسن المحاضرة» و«التحدث بنعمة الله» لكن محقق الكتاب أطلق عليه: «معترك الأقران في إعجاز القرآن» ذاكراً أن ذلك هو اسم الكتاب في المخطوطتين اللتين اعتمد عليهما في تحقيقه ــ انظر: ص: ف من: معترك الأقران، تحقيق: علي البجاوي.

المعجَم الكبير لشيوخه، المنتقى من تفسير ابن أبي حاتم، والمنتقى من تفسير الفريابي، والمنتقى من سنن البيهقي، وغيرها.

٧ ــ وقِسْم كان قد شرَع فيه ولم يكتب منه إلا القليل، ومنه: مجمع البحرين ومطلع البدرين في التفسير، نُكَت على تلخيص المفتاح، طبقات الأصوليين، وغيرها.

وهكذا بالنظر في التصنيف السابق الذي يُعَدُّ مُلخَّصاً لتصنيف السّيوطي لكتبه في كتابه: «التحدُّث بنعمة الله» نتبيّن أنّ كثيراً من أسماء كتبه التي أوردها في «حسن المحاضرة» على هيئة مقالاتٍ في صفحاتٍ معدودة، وعدداً منها على هيئة فتاوي، وعدداً ألَّفه في مرحلة الدِّراسة ولا يعتدّ به، وعدداً لم يُتمّه، وبطرح هذه الأعداد من جملة ما عدَّه السّيوطي وهو ثلاثمائة أو أكثر لا يتبقّى إلّا قدر محدود من الكُتب القيّمة التي اعتدَّ بها السّيوطيّ، ولا تبقى ذرَّة من شكٍّ في كونها له، وأنَّه صاحبُها.

وفاته:

لقد توفي السيوطي في سنة **٩١١** هـ، وله من العمر إحدى وستون سنة بعد حياةٍ حافلة بخدمة الإسلام والعربية فجزاه الله خير الجزاء، ووفق المسلمين للانتفاع بعلمه.

الباعث له على تأليف «التحبير»:

تحدث «السيوطي» في الصفحات الأولى من كتابه: «التَّحبير» بإيجاز عن الباعث له على تأليفه ــ كما تحدث في الصفحات الأولى من كتابه: «الإتقان في علوم القرآن» عن الباعث له على تأليف كلٍّ من الكتابين: «التحبير» و«الإتقان»[1].

وبالنظر في مقدمة كل من كتابيه السابقين يمكننا أن نتبين سرّ تأليفه لكتاب «التحبير».

(١) اقرأ الصفحات الأولى من الإتقان ١: ١٠ وما بعدها، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.